**مقياس**

**ما قبل التاريخ شمال افريقيا**

**السنة الثالثة تاريخ**

**اعزاء الطلبة أتمنى ان يرعاكم الله عز وجل**

**الأستاذ يوغرطة حدادو**

**الموضوع رقم 1**

**مفهوم علم ما قبل التاريخ**

يعرف علم ما قبل التاريخ اصطلاحا، ذلك المستوى المعرفي الذي بلغه الانسان من خلال بحثه عن أصل الخليقة والتطورات التي خضعتها عبر الأزمنة في الميادان الباليونتولوجي والانثروبولوجي (التطور الطبيعي/الفيزيولوجي، التاريخي/الثقافي) على ضوء التطورات البيئية والمناخية (العلوم الطبيعية). لكن اهم الدراسات التي تعتني بتاريخ أصول البشرية بطريقة مباشرة يمكن حصرها على مستويين:

أ-الدراسات الاثرية (اثار ما قبل التاريخL’archéologie Préhistorique:

نعني بالدراسات الاثرية كل اثار المستحثات التي تعود الى فترات فجر التاريخ من بقايا عظام الحيوانات ( علم الحيوانات القديمPaléozoologie )و اثار لمستحثات نباتية مرسومة على الصخور و بقايا لجذوع أشجار متحجرة بسبب العوامل الفيزيائية و الكيميائية و بقايا لبذور النباتات (علم النباتات القديمة Paléobotanique ) و بقايا لقشور الحلزونيات الدالة على تطور المناخ (علم الاثار البيئي Paléoclimat )، كما تعتمد اساسا الدراسات الاثرية في دراسة التطورات البيئية و المناخية من خلال تحديد أنواع و فصائل الحيوانات التي دامت في بيئة طبيعية خاصة او انقرضت لأسباب موضوعية في حقبة من الحقبات المناخية الأربعة ( انظر الشكل)، كما تهتم بدراسة التطور الحضاري للإنسان البدائي منذ فجر التاريخ

ب – الدراسات الكرونولوجية Les études Chronologiques:

بعد جمع وصيانة المعطيات الاثرية والحفاظ عليها وترتيبها، تأتي مرحلة استقراء مراحلها التاريخية والبحث عن أصولها وقدمها ; و هي المرحلة الحاسمة و في نفس الوقت عملية معقدة بطبعها لانها تحتاج دائما لإعادة النظر في النتائج التي تحقق من خلال اعتمادها على أدوات عديدة للتآريخ و على العموم فان الاجماع في مسالة التاريخ كله يتفق ضرورة الاعتماد على مقاربتين -القراءة الستراتيغرافية (تسلسل المستحثات في طبقات الأرض) و معرفة التطورات البيئية التي حدثت في ازمنة جيولوجية معينة على سبيل المثال التطورات المناخية و ما نتج عنها من تغيرات طبيعية (انتشار أنواع لحيوانات و لنباتات وانقراضها ).

**تنقسم الدراسات الكرونولوجية (التاريخية) الى صنفين:**

**الكرونولوجيا النسبية:**

فهي تعتمد أساسا على استقراء الطبقات الجيولوجية للأرض و ترتيب المستحثات المختلفة من عظام الحيوانات و الانسان و اثار لنباتات و الأدوات التي استعملها الانسان المتواجدة في مختلف طبقات الأرض و هي تعتمد أساسا على الوصف بالدرجة الأولى لماذا؟ لان في هذه الحالة الأثري يعتمد على تحديد الاختلافات الموجودة بين أنواع المستحثات التي تطرقنا اليها في الأعلى بحيث يحدد مميزاتها ويقارنها بمثيلتها وهذا ما نسميه بالدراسات النمطية فيتوصل بالتالي الى تحديد اسبقيتها عن الأخرى وهذا المنهج أدى الى تحديد مثلا لاهم حضارات فجر التاريخ على سبيل المثال الجضارة الاشولية أقدم من العاتيرية وهلم جرى...

**الكرونلوجيا المطلقة:**

يركتز هذا النوع من التأريخ على دراسة و قياس اهم فترات الاحداث الطبيعية التي حدثت على وجه الأرض و هذه الاحداث مرتبطة بدوران الأرض حول الشمس و يعتمد في هذه الظروف على عدة طرق لقياس الأزمنة و اشهرها القياس الاشعاعي للكربون 14 الموجود بداخل اجسام الكائنات الحية اذ بعد موتها تتسرب هذه المادة من هذه الاجسام الى الطبيعة بمقدار معين، عادة ما تقدر الكمية التي تفتقدها بقايا اعضاء الكائنات الحية ( الانسان، الحيوان و النبات ) بحيث كل 5730 سنة تبقى فيها نصف من المادة مشعة لكربون 14 او كل 11460 سنة تفقد الربع فكلما كانت المستحثات قديمة كان نسبة اشعاع مادة الكربون 14 فيها ضئيلا و هناك طريقة أخرى من بين الطرق الأخرى التي يعتمد فيها استقراء حلقات جذوع الأشجار بحيث في كل سنة ممطرة تضيف الأشجار حلقات لجذوعها فكان من السهل حساب عدد هذه الحلقات لتحديد أي فترة من الفترات و تسمى Dendrochronologie

**جدول يوضح الاحقاب الجيولوجية**

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| **مليون سنة** | **الفترات** | **الحقب** | **تطور الحياة** |
| **2** | **البليستوسين** | **الزمن الجيولوجي الرابع** | **ما قبل الانسنة** |
| **75** | **بليوسان**  **ميوسان**  **اوليجوسان**  **ايوسان**  **الباليوسين** | **سينوزوييك**  **او الزمن الجيولوجي الثالث** | **الرئيسيات** |
| **205** | **الكريستاسي**  **الجيوراسيك**  **الترياسي** | **الميزوزييك او الزمن الجيولوجي الثاني** | **الزواحف** |
| **550** | **البرمي**  **الكربوني**  **الديفوني**  **السيلوري**  **اردوفنشي**  **الجمبري** | **باليوزوييك او الزمن الجيولوجي الاول** | **البرمائيات** |
| **2000** | **مقبل الكمبري** |  |  |
| **4000** | **تشكل القشرة الارضية** | **اركيوزوييك** | **ظهور الحياة وأولى مستحاثات** |

**الموضوع رقم 2**

**تأسيس علم ما قبل التاريخ**

حاول الانسان منذ ان ربط وجوده بعالمه الخارجي ان يعرف من هو و كيف جاء و ماهو مصيره زمنيا، فلما نضج فكره و استطاع ان يفك العاز الطبيعة، بدا ياسس بعض من الاطروحات حاولت الإجابة على تلك التسائلات التي يمكن ان نوصف طبيعتها في البداية بانها كانت فلسفية. لكن قبل هذا، لقد طغت النطرية الدينية حول مسائل بداية الخليقية و الانسان على حد السواء خاصة في الديانات السماوية الثلاث و كانت البداية مع نصوص العهد القديم لما ارخ **الاسقف – اووشر 1581-1656 –** تاريخ بداية الخليقة الى 4004 سنة قبل الميلاد اعتمادا على مقارنة التركات الاثرية لبعض نماذج عظمية مشابهة لعظام الانسان و بعض بقايا لعظام الحيوانات، فسرت منذ القرن XVII م على انها من مخلفات الطوفان العظيم و التي اكدتها هذه الحفريات. يتضح في هذا الموقف محاولة التوقيف بين المعطيات الاثرية و موقف رجال الدين في التعليق عليها من خلال النص الديني. هذا الموقف نجده حتى في الفكر الإسلامي منذ تاسيسه للحضارة هو كذلك.

مع حلول القرن XIX الميلادي حيث عرقت هذه الفترة انشقاق العلوم التجريبية عن الفلسفة خاصة مع نظرية الفيلسوف الفرنسي **– اوغسط كونت –** و تأسيسه لمبدا العلوم الوضعية بحيث نالت العلوم الطبيعية قسطا وافرا من الدراسات و الأبحاث مما أدى الى إعادة استقراء تاريخ الخليقة من جديد لكن هذه المرة تبرير حقيقة وجود هذه الحفريات و التأكد منها عن طريق النصزص التي تطرفت الى زمن الطوفان و كان من بين رواد الدراسات الطوفانية في ذلك **– وليام بوركلاند 1784-1856 –** و كانت المملكة البريطانية آنذاك متزعمة للدراسات للعلوم الطبيعية حيث كانت القاعدة لتفسير زمن ظهور الانسان من خلال نظرية بوركلاند الذي اعتقد بانه بإمكان تاريخ زمن حدوث الطوفان من خلال قراءة الطبقات الجيولوجية للارض التي تعود الى الزمن الجيولوجي الرابع و الذي سماها هذا الأخير بالعصر الطوفاني  و اقر على إمكانية عثور على اثار لانسان في هذه الحقبة التاريخية. لكن المدرسة الفرنسية حاولت ان تنتقد ما الت اليها الأبحاث بانجلترا في هذا الشأن و تزعمها الباليونتولوجي الفرنسي – **جورج كوفييه 1769-1832** م – حيث قدم تفسيرا للنماذج العظمية للحيوانات المندثرة على انها بقايا لحوادث كونية عاشتها الأرض عدة مرات خلال فترات زمنية متعاقبة و قد لاحظ أيضا من خلال استقرائه للطبقات الأرضية ( الستراتيغرافية ) انه كلما حلت كارثة كونية إلا و ظهرت ثروة حيوانية من نوع جديد، رعم ذلك لم يبتعد كوفييه عن تعاليم النصوص الدينية خاصة فيما تعلق بنصوص سِفر التكوين التي تطرقت الى زمن ظهور الانسان على الأرض، الذي حدث بعد نهاية هذه الكوارث الكونية و ظهور أنواع أخرى من الحيوانات التي وجدها الانسان منتشرة في الطبيعة.

بعيدا عن النصوص الديانة المسيحية و عن ايديولوجيات أوروبا الغربية خاصة، كانت بلدان الاسكندينافية على وشك تأسيس دولها الوطنية و كان من الضروري تأسيس تاريخا وطنيا لها ، لكن الاشكال التي واجهتها عدم وجود نصوص ناولت تاريخها فاعتمدت على ذلك على بقايا لادوات و على مدافن حجرية و على اكوام قشور البيض تعود لفترات مجهولة و كان من الضروري تأريخها، فاعتمد الأثريون على مبدأ التصنيف او الدراسات النمطية و على الدراسات الستراتيغرافية (علم طبقات الأرض) و كانت الدانمراك هي السباقة في هذا المجال حيث استطاع كريستيان تومسن من وضع تصنيفا اعتمد على دراسة اشكال الأدوات و مواضع تسلسلها في الطبقات الأرضية فاستطاع ان يصنف ثلاث فترات ماقبل التاريخ: العصور الحجرية، العصور البرونزية ثم عصر الحديد.

لكن هذا التقسيم لم يجد صدى لدى المجالس العلمية قبل سنة 1859 م لان المدرسة الدانماركية لم تستطع ان تفرق بين أدوات التي تعود معظمها الى فترات النيوليتيك و بين فترات العصور الحجرية ، اضف الى ذلك ان التآريخات التي وضعت لا تأخذ في الحسبان قدم لمستحثات البشرية التي عثرت في عدة أماكن.. لم تتوقف الاكتشافات عن المستحثات الحيوانية و البشرية بل ازدادت وتيرتها خاصة في المواقع الفرنسية و اشهرها موقع ابيفيل بضواحي باريس و كان الوحيد الذي اهتم بالموقع هو الجمركي بوشي دو بارت الذي وجد فيه نموذجا جيدا في تسلسل المستحثات من خلال الأزمنة الجيولوجية، اذ تاكد من خلال معاينته لادوات حجرية التي عثرت في طبقات ستراتيغرافية بها بقايا عظمية لحيوانات معروفة مثل أصناف الاحصنة و الكلاب ضخمة مثل الماموت و وحيد القرن .

**بوشي دو بارت مؤسس علم ما قبل التاريخ:**

استغل بوشي دو بارت اعماله الحفرية في موقع – ابيفيل -واستخراجه للعديد من المعطيات الاثرية (أدوات حجرية وحفريات للحيوانات) بان يأسس نظريته مفادها انها تعود الى **ازمنة قبل حدوث الطوفان** في أوروبا وان الكثير من هذه الاثار توضح تسلسلا كرونولوجيا في طبقات الأرض عندما قارن الأدوات المصقولة و بجانبها يقايا عظمية لجيوانات حديثة بالتي عثر عليها سنة 1842 م بنفس الموقع على أدوات القطع التي عثر عليها في نفس موقع ابيفيل و بجانب هذه الأدوات يقايا عظمية لحيوانات ضخمة منقرضة على غرار الماموت و وحيد القرن فاستنتج تسلسل في ظهور الأدوات الحجرية من القاطعة ثم المصقولة. ايده في ذلك الدكتور –ريغولو Rigollot – عندما فحص سنة 1854 م موقع ابيفيل ومحتوياته ولم يمكث طويلا حتى عثر هو الاخر على أدوات حجرية بموقع – اميان Amiens – مشابه لموقع أبيفيل و رغم ذلك فان طرح بوشي دو بارت لم يلقى صدى لدى الأوساط العلمية خاصة و لدى العامة و قبل وفاته 1868 م اصيحت اكتشافات بوشي دو بارت تولى لها أهمية خاصة من طرف جيل من العلماء على غرار : دو كاترفاجDe quatrefages ، كابتن Capitan ، الاب بروي Abbé Breuil ، حامي Hamy و استطاع العالم – مورتييه Mortillet – تصنيف هذه الأدوات انطلاقا من اشكالها و وظيفتها .

**الموضوع رقم 3**

**نظريات الخلق**

ساهمت الاكتشافات الجغرافية في معرفة العديدة من الشعوب البدائية تختلف في مبادئها الحضارية عن الحضارة الأوروبية بشكل خاص، مما نتج عنها تساؤلات فلسفية و دينية بالدرجة الأولى ، ناهيك عن التصورات الخاطئة التي ميزت بعض الاظروحات في تفسير الجوانب الثقافية لهذه الشعوب البدائية ، يمكننا ان نلخصها في نظريتين طبعتا فترة بداية القرن التاسع عشر الا و هما:

**النظرية الطوفانية:**

اعتقد الناس في القرن الثامن عشر ان الحفريات التي يتم العثور عليها في العديد من المواقع الاثرية من طرف الفضوليين ما هي الا بقايا لعظام لحيوانات قد غرقت خلال الطوفان الأعظم التي شهدتها البشرية فهي بالتالي تعتمد في أسس نظريتها على النص الديني ( التوراة و الانجيل) و النص الصريح الذي تطرق الى هذه المسالة هو سفر التكوين الذي اشار في فحواه:< ان منشأ الخليقة كان بإرادة الله سبحانه و تعالى و لما غضب الله تعالى من هذه البشرية عاقبها بطوفان غمر كل الكرة الارضبة". كان هذا التفسير معقولا لدى عامة الناس خاصة و ان هذه اليقايا العظمية للحيوانات ما هي الا لحيوانات لم تكن بداخل سفينة سيدنا نوح عليه السلام و لم تتطرق هذه النظرة بتاتا الى مسالة كيفية خلق الانسان و الإجابة على سؤال اختلاف سلالاته.

لكن مقابل هذه الآراء ظهرت فئة حاولت ان توافق بين الآراء الدينية و الاكنشافات الاثرية خاصة فيما تعلق الامر بالمعطيات الجيولوجية وما تحتويه من معلومات عن تشكل الأرض و الأصناف الحيوانية التي عثرت بين الطبقات الجيولوجية، لاسيما و ان اصنافها تختلف من طبقة جيولوجية الى أخرى مما اكدت على فكرة عدم غرقها في الطوفان الأعظم ضمن نفس الفترة و انما على شكل فترات متعاقبة و متباينة و متمايزة عن بعضها البعض و كان ابرز عالما الذي حاول ان يوفق بين الطرجين – كوفييه – الذي جمع بين اقوال التي نادت الى تنوع الخليقة عبر العصور امطلاقا من المعطيات الجيولوجية و بين الأفكار الطوفانية و كان دعاتها رجال الدين و كان موقفه إزاء هذه المسالة ان الأرض غمرتها المياه في عدة مناسبات أدى الى غرق خلائق وظهور خلائق أخرى في مكانها. ندرك من خلال هذا التصور ان كوفييه لم يخرج عن الاطار الديني و لم يبقى من مبادئ هذه النظرية سوى ترتيب بداية ظهور الخليقة بحيث ان الله تعالى الكائنات البحرية أولا ، الزواحف ثم الثديات.

**النظرية التطورية:**

أسس هذه النظرية مستوحات من علم الطبيعة الذي كان اول علما انفصل من النظريات الفلسفية اعتمد منهاجه على منطق الملاحظة و التجريب و مبدأ التطور على أساس الانتخاب الطبيعي بحيث ان الكائنات الحية التي لا تستطيع التاقلم مع وضعها الجديد تنقرض و لا يبقى منها سوى التي تملك القدرة على التكيف مما نتج عنها ظهور أصناف أخرى اكثر تاقلما من سابقتها فقي هذه الحالة ظهرت أنواع من الحيوانات حملت صفات متطورة و شهدت زوال صفات منها كانت موجودة عند اسلافها. اتسعت هذه النظرية لتشمل الجانب الثقافي و الفني للشعوب البدائية لمعرفة كيف تطور الانسان ثقافيا و حضاريا و كان الفضل في ذلك الى العالم الانتروبولوجي بيت –ريفرس و الذي استطاع ان يجيب على عدة تساؤلات التي تتعلق بماضي الأدوات الحجرية و تنوعها عبر الأزمنة فكانت البوادر الأولى لتصنيفات اثرية فتجت الباب الى تأسيس علم ماقبل التاريخ. منذ بداية القرن التاسع عشر الى غاية سنة 1850 م و ابان هذه الفترة كانت مسيرة الاكتشافات الاثرية و الباليونتولوجية ( الاكتشافات العظمية ) قد شملت عدة مناطق من أوروبا و العالم و بشكل كثيف اذ استخرج من باطن الأرض عدة نماذج عظمية قد اندثرت منذ مدة طويلة على سبيل المثال:

* اكتشاف بمغارات المانيا على نماذج عظمية للإنسان بمغارة - بافيلاند – 1822 م من طرف – بوكلاند و زميله – ماكنري – ببلاد الغال و قد تيقن هذا الأخير ان هذه الحفريات تعود الى ازمنة بعيدة و ان هذه الأدلة العظمية ما هي الا دليلا على قدم الانسان
* مغارات بلجيكة وعلى حواف نهر – الميز Meuse – جمع العالم الباليونتولوجي – شمرلينج – على العديد من اثار عظمية للحيوانات منقرضة وأخرى للإنسان وأدوات حجرية في نفس الطبقات الستراتيغرافية فأدرك ان هذه المعطيات الاثرية تعود الى زمن واحد وذاع صيته سنة 1833 م لما عثر على جمجمة للرئيسيات بمغارة – لياج – حيث برهن بها على وجود الانسان بأوروبا قبل الطوفان.

**الموضوع رقم 4**

**نشأة علم ما قبل التاريخ في شمال افريقيا**

كانت للمدرسة الفرنسية الأسبقية في الاكتشافات الاثرية بمنطقة شمال افريقيا عامة والجزائر بصفة خاصة حيث تزامن هذا الاهتمام بالحملة الاستعمارية التي قادتها سنة 1830 م وصادفت كذلك المرحلة الحاسمة التي بلغها بوشي دو بارت في موقع ابيفيل سنة 1833 م بفرنسا والاكتشافات المتتالية بمواقع أخرى وقد شهدت الجزائر اكتشافات هامة في مجال الاثار الفنية وكانت مواقع الجنوب الوهراتي ( الاطلس الصحراوي ) السباقة في اظهار التحف الفنية او ما يسمى بالرسومات و النقوش الصخرية منذ سنة 1847 م و هذا قبل رسومات مغارتي لاسكو Lascaux و ألتاميرا Altamera بإسبانيا و فرنسا بكثير.

إذا كانت القارة الأوروبية قد اشتد فيها صراعات حول مسالة الخليقة وازمنتها الكرونولوجية ما بين رجال الدين والمدعمين بأكاديميين محافظين ضد الفئة المستنيرة التي اعادت النظر في النص الديني بخصوص مسالة الخلق و صيرورته عبر الزمن على غرار بوشي دو بارت و لامارك و كوفييه، فكل هذه الصراعات الفلسفية و الفكرية قد انعكست إيجابا على المنطقة الافريقية رغم ان من المهتمين أجانب الا انهم وجدوا المكان الخصب في معاينة نظرياتهم و دعمها لانهم كانوا بعيدين من مضايقات رجال الدين و كانت البداية مع – بالافوان Balavoine – الذي اكتشف في رملية –باليكاو Palikao – سنة 1870 م بضواحي ولاية معسكر اين تم استخراج يقايا عظمية لحيوانات ضخمة و انياب دفاعية للفيلة و فحص الموقع كذلك الدكتور – توماسي – و اكد على أهمية الموقع و سمي المكان بموقع تيغنيفين نسبة الى اسم منطقة تيغنيف اذ اكتسبت شهرة عالمية نظرا لما تحويه من أهمية كرونولوجية و باليونتولوجية.

يتبع....